القصة والرواية الحسينية بين السيرة الحسينية والمسيرة الأربعينية

الباحثة رجاء محمد بيطار
معهد الكفيل / العتبة العباسية المقدسة
Raja.m_bitar@outlook.com

ملخص البحث

إن الحديث عن السيرة الحسينية والمسيرة الأربعينية، يقودنا إلى الحديث عن تفاعل تلك الذكرى العالمية الخالدة مع شتى جوانب الحياة الإنسانية، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، وعلى جميع الأصعدة العقائدية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والأدبية وغيرها، ولعل الجانب الأخير، التفاعل الأدبيّ، هو المقصود في هذا البحث، حيث يتمحور موضوع هذه الدراسة حول تأثّر وتأثير فنّ القصة والرواية عبر العصور بالثورة الحسينية عمومًا، وبالمسيرة الأربعينية خصوصًا، مع التركيز على جانب القصة والرواية الحسينية، التي تستوحي موضوعها وأدواتها وعناصرها من هذا الحدث العالميّ الأبرز.

يتألّف البحث من مقدّمةٍ ومبحثين وخاتمة، تتناول المقدّمة عرضًا موجزًا للرواية عمومًا ومقوّماتها وتطوّراتها عبر العصور حتى دخولها إلى رحاب الآداب العربية الحديثة، وما للسيرة الحسينية ثم للمسيرة الأربعينية من دورٍ في هذا التطوّر، وتبيّن المقدمة أهمية الموضوع المطروح، ألا وهو مناقشة ما قدّمته الثورة الحسينية والمسيرة الأربعينية لعالم الرواية من غنىً أدبي وإنساني، وتتطرّق إلى منهج الدراسة أي المنهج التاريخي الوصفي، وتعرض الإشكالية التي تتلخّص بالسؤالين الآتيين:

كيف يبرز تطوّر وتفاعل القصة والرواية الاجتماعية والتاريخية مع الثورة الحسينية على صعيد الموضوع وطريقة المعالجة؟

ما هو دور المسيرة الأربعينية بمعطياتها الاجتماعية والعقائدية في حاضر القصة الحسينية ومستقبلها؟

يتناول المبحثان الاشكاليتين المطروحتين، ويعالجانهما وذلك تحت العنوانين الآتيين:

المبحث الأول: القصة والرواية الحسينية بين النظرية والتطبيق

المبحث الثاني: دور المسيرة الأربعينية في تطوّر الرواية الحسينية

ويختتم البحث بخاتمةٍ تلمّ خيوطه وتقدّم النتائج المتوخّاة، حول ازدهار الرواية الحسينية ومستقبلها الواعد.

الكلمات المفتاحية : القصة ، الرواية الحسينية ، السيرة الحسينية ،المسيرة الأربعينية .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

"The Hussaini Story and Narrative between the Hussaini Biography and the Arbaeen Procession"

Researcher Raja Mohammed Bitar
Al-Kafeel Institute / The Holy Abbasid Threshold
Raja.m_bitar@outlook.com

Abstract:

A research abstract presented to the Seventh International Scientific Conference for Ziyarte Al-Arba'een

Talking about the Husseini biography and Al-Arba'een March leads us to talk about the interaction of that eternal global memory with the various aspects of life, past, present and future, and on all ideological, social, historical, political, literary and other levels. Perhaps the last aspect, the literary interaction, is what is intended in this research. Where the subject of this study revolves around the influence and impact of the art of story and narration on the Husseini revolution throughout the ages in general, and on Al-Arba'een March in particular, with a focus on the aspect of the Husseini story and novel, whose theme, tools and elements are inspired by this most prominent global event.

The research consists of an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction deals with a brief presentation of the novel in general, its components and developments through ages until its entry into modern Arabic literature, and the role of the Husseini biography and then Al-Arba'een March in this development. The introduction shows the importance of the

topic; which is discusses the literary and human richness that the Husseini revolution and Al-Arba'een March presented to the world of novel, and it deals with the study methodology, that is, the descriptive historical method, and presents the problematic

that can be summarized in the following two questions:

How does the development and interaction of the story and social historical novel emerge with the Husseini revolution in terms of subject matter and method of treatment?

What is the role of Al-Arba'een March, with its social and ideological data, in the present and future of the Husseini story?

The two chapters deal with the two issues and deal them under the following two headings:

The first chapter: The Husseini story and novel between theory and practice.

The second chapter: the role of Al-Arba'een March in the development of the Husseini novel.

The research ends with a conclusion that gathers its threads and presents the results on the prosperity of the Husseini novel and its promising future.

Keywords:Story ‹Hussaini Narrative ‹Hussaini Biography ‹Arbaeen Procession

المقدّمة:

إن الحديث عن السيرة الحسينية والمسيرة الأربعينية، يقودنا إلى الحديث عن تفاعل تلك الذكرى العالمية الخالدة مع شتى جوانب الحياة الإنسانية، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، وعلى جميع الأصعدة العقدية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والأدبية وغيرها، ولعل الجانب الأخير، التفاعل الأدبيّ، هو المقصود في هذا البحث، إذ يتمحور موضوع هذه الدراسة في تأثّر وتأثير فنّ القصة والرواية عبر العصور بالثورة الحسينية عامة، وبالمسيرة الأربعينية خصوصًا، مع التركيز على جانب القصة والرواية الحسينية، التي تستوحي موضوعها وأدواتها وعناصرها من هذا الحدث العالميّ الأبرز.

إن محور بحثنا هذا هو الرواية الحسينية، وهو مصطلحٌ حديثٌ أطلقناه على الرواية التي تستمدّ من المثال الحسيني موضوعها وهدفها، وتستلهم منها مغزاها ورسالتها، وسنحاول في هذا البحث أن نرصد مقوّمات وضوابط هذه الرواية، من المنطلق الفنيّ الأدبيّ، والتاريخيّ الاجتماعيّ العقائديّ، من حيث ارتباطها وتأثّرها بمصدرها الأساس، ألا وهو نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وامتداداتها الأفقية والعمودية، في أعماق التاريخ ومنبسطات الحاضر وآفاق المستقبل، ولعل أبرز تلك الامتدادات هي مواكب الزيارة، ولاسيما مسيرة الزيارة الأربعينية التي بلغت أوج ازدهارها وقمة تعبيرها الحضاري في عصرنا الحاليّ...

إن أهمية هذا البحث تكمن في رصد واقع ومعطيات الرواية الحسينية، وما تواجهه من تحدّياتٍ في سبيل تكاملها الفنيّ والإنساني، وتتبّع مواطن قوّتها الاستثنائية المتركّزة في عمق الحدث المغذي لنشوئها وتطوّرها، ألا وهي الثورة الحسينية نفسها، بأشخاصها وأحداثها ونتائجها وقيمها الخالدة، من جهة، والمسيرة الأربعينية التي تجسّد جانبًا بارزًا

من جوانب عالمية وشمولية هذه الثورة... كلّ هذا في سبيل استثمار هذه المسيرة وتلك الثورة في إحياء الإنسان والارتقاء به نحو التكامل الذي أراده الله عزّ وجلّ له، ولما كان الحسين عليه السلام هو من أحيا دين الله بدمائه، فحريٌّ بذكره وبالرواية المستقاة من فكره أن تكون لها نفس الأهداف والتأثير نفسه في المجتمع الإنسانيّ.

إن المنهج الذي ستتبعه في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي الاجتماعي، الذي هو«قراءة ما هو تاريخيّ واجتماعيّ وأيديولوجيّ وثقافيّ في النّصّ الأدبيّ...» (ماريني، ١٩٩٧، صفحة ١٣٥).أما الإشكال الذي التي سيعالجه البحث، فيتمحور حول السؤالين الآتيين:

كيف يبرز تطوّر وتفاعل القصة والرواية الاجتماعية والتاريخية مع الثورة الحسينية على صعيد الموضوع وطريقة المعالجة؟

ما دور المسيرة الأربعينية بمعطياتها الاجتماعية والعقائدية في حاضر القصة والرواية الحسينية ومستقبلها؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين ستتمّ من خلال معالجة الأفكار المطروحة في مبحثين موسومين بالعنوانين الآتيين:

المبحث الأول: القصة والرواية الحسينية بين النظرية والتطبيق

المبحث الثاني: دور المسيرة الأربعينية في تطوّر الرواية الحسينية

ويختتم البحث بخاتمةٍ تلمّ خيوطه وتقدّم النتائج، عن ازدهار الرواية الحسينية ومستقبلها الواعد.

المبحث الأول
القصة والرواية الحسينية بين النظرية والتطبيق:

لعلّ ثورةً في التاريخ لم تحظَ بمثل ما حظيت به الثورة الحسينية من محوريةٍ استقطبت أنظار وأفكار وقلوب البشر، فهي ما فتئت تزوّد الحضارة الإنسانية بمختلف ألوان الإبداعات العلمية والأدبية، وكيف لا تفعل، وهي ينبوع العطاء الذي لا ينضب، كانت فكان ارتقاء الإنسان بها ومعها، لا يرمقها بطرفٍ إلا وجد فيها بغيته، ولا يقاربها من جانبٍ إلا أثقلت ميزانه، ولا يتناولها من زاويةٍ إلا كانت هي الأشمل والأعمّ والأرقى بكلّ المقاييس.

ومهما دبّج القلم من صفاتٍ يبقى مقصّرًا في حقّ تلك الثورة العصماء، تمامًا كما يقصّر الفكر والقلب عن إدراك عظمة صاحبها، ومن هنا فإنه من الطبيعيّ أن يكون للآداب الإنسانية على اختلاف أنواعها ومشاربها تفاعلٌ وتناغمٌ مع هذه الثورة، فقد سبق لها أن تفاعلت مع ما هو أقلّ منها بدرجات، كالثورة الفرنسية والثورة الروسية، وكان للأقلام الإنسانية بصمات بارزةٌ خلّدت تلك الأحداث في ضمير البشر، مع أنها لا تحمل من العمق الفكريّ والإنسانيّ ما تحمله ثورة الحسين عليه السلام، وحريٌّ بالأقلام أن تستوحي من الثورة الحسينية ما يتناسب مع عمقها وشموليتها، وهذا ما كان وما سيكون...

ولما كان الأدب هو لسان حال المجتمع الإنسانيّ، فهو منطلِقٌ منه عائدٌ إليه، متأثّرٌ به مؤثّرٌ فيه، فقد كان من الطبيعيّ أن يكون له باعٌ كبيرٌ في ترجمة همومه وآلامه، وأحزانه ومآسيه، فضلًا عن رصد عوامل العظمة والشموخ في بنيانه أنّى وجدت، وفي حقيقته المكنونة، وهل سُجّل لإنسانٍ ما سُجّل للحسين من معانٍ لا تضاهى ولا تجارى؟

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

ولكن، ما علاقة الأدب بالحقائق؟! وكيف يستطيع أن ينقل صورة هذه الحقائق من الحدث إلى العالم بموضوعيةٍ وأمانةٍ وحسن تأثير؟!

إن «للأدب حقائقه الأصيلة العميقة، فالأدب الصّحيح لا يتجاوز منطقة الحقائق ولو شطّ به الخيال، وكلّ ما هنالك هو تحديد معنى الحقائق» (قطب، ٢٠٠٣، صفحة ١٤)، كذا قيل، وكذا توافقت الآداب على نقل تلك الحقائق بعد تحديد معناها ومحاولة الإلمام بها، ولما كان الأدب هو ذلك الكائن الحيّ الذي يتنفّس من حياة المجتمع الذي وُلد فيه، ويستنبت أفكاره في ترابه، ويستلهم مشاعره مما تضجّ به تجاربه وأحداثه، فهو صورة للعصر والمجتمع، وعلاقة الأديب بمجتمعه علاقةٌ طردية، ومن هنا فإن قدرته على التعبير عن هذا المجتمع تحكمها عوامل عديدة، لا بدّ من الاهتمام بها وإعطائها حقّها من البحث والتحليل، ليكون هذا التعبير صادقًا موحيًا خالدًا خلود القيم المجتمعية التي يحاكيها ويخوض في مراميها. ولما كان «الأديب الإنسانيّ يخلق النضال ويجدّد الثورة ضدّ كل ما يراه مزيّفًا وسيّئًا ولئيمًا، وهو صاحب مهمة مستمرة ما دام النضال هو من أجل خير ورفاه الناس قائمًا ومستمرًا، وإن الأدب أكثر ثوريةً من الثورة لأنه كشف الضمير الطموح للمجتمع في التطوّر نحو الأحسن» (الموسوي، ١٩٧٣، صفحة ٢)، فحريٌّ به أن يتخيّر ثورةً استثنائيةً كثورة الحسين عليه السلام ليجعلها منطلقًا لرسالته الفكرية الاجتماعية، وهذا ما حصل فعلًا على أكثر من صعيد، فقد وعى المسلمون وغيرهم أهمية هذه الثورة، فتناولوها بالشعر والنثر قصيدًا وخاطرةً وقصةً ورواية، ولما كان الشعر هو ديوان العرب، فقد كان له قصب السبق في هذا المجال، وكان للشعر الحسيني صولات وجولات، منها ما برز في مجالس الرثاء، ومنها ما تصدّر دواوين الشعراء، على اختلاف مللهم ونحلهم، قديمًا وحديثا، كأمثال الكميت ودعبل والسيد الحميري

والسيد الحلي وأبي فراس الحمداني وغيرهم قديما، والسيد عبد الرحمن الآلوسي والسيد أحمد الفحام، وعبد المحسن الملهوف والسيد صدر الدين العاملي وغيرهم لاحقًا، والسيد محسن الأمين والشيخ جعفر النقدي وإدوار مرقص وبولس سلامة وحليم دموس وسليمان ظاهر والكولونيل حبيب غطاس وبدر شاكر السياب وغيرهم في العصر الحديث (شبّر، ١٤٠٩هـ)، وليست الأسماء المذكورة إلا غيضًا من فيض، فمن نظموا الشعر في الإمام الحسين أكثر من أن يحصى عددهم...

هذا في ما يتعلّق بالأدب عامة، أما القصة، فهي «ليست مجرّد سرد الحوادث أو الشخصيّات، إنما هي قبل ذلك الأسلوب الفني، أو طريقة العرض الّتي ترتّب الحوادث في مواضعها وتحرّك الشّخصيّات في مجالها، بحيث يشعر القارئ أن هذه حياةٌ حقيقيّةٌ تجري، وحوادث حقيقيّةٌ تقع، وشخصيّاتٌ حقيقيّةٌ تعيش» (قطب، ٢٠٠٣، صفحة ٨٨). والحديث هنا عن القصة التي تنسج أحداثها على منوال الواقع، لا من القصة المستقاة من صميم هذا الواقع، بل من قممه وأعاليه، كما هو الحال في القصة الحسينية، فكيف إن كانت كذلك؟!...

إن القصة تتعامل مع الواقع على القاعدة الآتية: «ليس الواقع المحدود الصغير هو مجال القصة وحده، إنما هو الواقع الأبديّ كما يبدو من خلال الواقع الوقتيّ، وهو النماذج الإنسانية كما تبدو من خلال الشخصيات الفردية» (قطب، ٢٠٠٣، صفحة ٩٠) (... فكيف يكون الحال إن كانت الشخصيات الفردية التي تتمحور حولها القصة هي نماذج إنسانية رفيعة بحدّ ذاتها، لا تحتاج إلا لتسليط الضوء عليها بشكلٍ محترف، يمكّنها من مخاطبة العقول والقلوب بصيغةٍ متجدّدة؟!

في الحقيقة، إن واقع النهضة الحسينية قد خلق فرصةً عظيمةً أمام الأقلام

القاصّة، فالنهضة الحسينية مجالٌ غنيٌّ بكلّ ما من شأنه أن يغني عالم القصة والرواية، بالموضوعات الراقية البنّاءة والمثال الإنسانيّ الفريد، خصوصًا أن مجتمعاتنا الإنسانية، تعيش «فوضى اجتماعيّة وقِيَميّة عارمة، جعلت النّاس يقعون فريسةً لشعورٍ حادٍّ بالدّونيّة الحضاريّة، ممزوجٍ بإرباكٍ ذاتيٍّ أثقل حركة أيّامهم ونغّص عليهم صفاء أحلامهم، وقوّى لديهم الحاجة إلى بطلٍ يتماهَون به في لحظات يأسهم العامّ» (السلامي، ٢٠١٧، صفحة ٨٤)... لقد غدا همّ القصة أن تخترع الأبطال وتقنع بهم القرّاء، فكيف يكون موقفها مع أبطالٍ جاهزين، لا يحتاجون لاختراعٍ ولا حتى لتشذيب، بل فقط لنقل الصورة باستراتيجيةٍ مدروسة؟

لقد منحت الثورة الحسينية، وكل ما لحق بها من ظواهر اجتماعية ودينية تغذّت على رحيقها المختوم، كمسيرة الزيارة الأربعينية، الأدب والقصة فضاءً مترامي الأطراف تصول في أنحائه وتجول، وتقطف من نجومه المشعشعة هنا وهناك قبسات من نورٍ تستضيء بها المجتمعات الإنسانية عبر العصور، لا مجتمع العرب فحسب، ولكن ذلك محكومٌ باستراتيجية التفاعل مع هذا الحدث، والوعي بمقوّمات قوّته، والقدرة على بثّها عبر قنوات القصة الاجتماعية والتاريخية، حيةً جديدةً تضجّ بالعطاء.

أما بشأن الرواية، فإن لها الخصوصية، فقد تدرّجت وظيفة الرواية عبر التاريخ كما تدرّج شكلها، من المشهدية القديمة إلى السرد الحديث، فالرواية عاشت الإنسان بكل تطوراته منذ البداية، وتقلّبت معه في كل مراحل حياته على هذه الأرض، فبدأت مسرحيةً قديمةً رسم بها اليونان والرومان آلهتهم ونسجوا من خلالها أساطيرهم، ثم راحت ترقّى فنيًّا وأدبيًّا حتى أخذت شكلها الحالي...

فالرواية إذًا غربية المنبت والمنشأ، وما ورودها إلينا إلا ثمرة تداخل الحضارات

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

وتلاقحها، ولئن بدأها العرب الأولون أمثالًا وسيرًا ومقامات، فكانت نواة الرواية متجذّرةً في عمق وجدانهم الفكري، ثم انتقلوا إلى تجسيدها مترجمةً أو معرّبة، بعدما قُيّض لهم الاطلاع على الرواية الغربية عن كثب، فلقد استطاع التالون لهم أن يلبسوها لبوس العربية بجدارة، وذاك عائدٌ إلى ما للّغة العربية من مرونةٍ وقدرةٍ مكنونةٍ على التكيّف، مكّنتها من التأقلم، ومن محاكاة أي لونٍ أدبيٍّ طرأ ويطرأ عليها قديمًا وحديثا.

قبل البحث في تأثّر الرواية الحسينية بالنهضة الحسينية ومن ثمّ قابليتها على التأثير في المجتمع الإنساني، لا بدّ من وضع تعريفٍ محدّدٍ لها، إذ إنّ أن مصطلح الرواية الحسينية لم يكن مطروحًا قيد البحث والنقد من قبل، إلا من خلال بضع مقالاتٍ كتبتُها سابقًا وقدّمتُ هذا المصطلح فيها بشكله الذي سنناقشه الآن.

أولًا: تعريف الرواية الحسينية وعناصرها الفنية:

الرواية الحسينية هي روايةٌ فنّيّةٌ تخضع لمعايير الرواية العالمية، وتسير على وفق ضوابطها، وتحتكم إلى عناصرها الفنّية المعروفة مضمونًا وأسلوبًا، ولكنها تتّخذ من الحسين عليه السلام محورًا لها، على صعيد المضمون تحديدًا، أما الأسلوب فهو يعود إلى مرتكزاتٍ عديدة، سيتمّ عرضها في مكانها من هذا البحث، ولما كان كلّ أدبٍ يتمحور حول الفنّ الحسينيّ يُنسب إليه، ولاسيما إذا اتخذ هذا الأدب سماتٍ مميزة تجعله يحمل هويةً خاصة، فإن الرواية الحسينية هي روايةٌ تختلف عن سائر الروايات بخصائص سينتطرّق إليها في هذا البحث.

إن الرواية عامة هي فنٌّ أدبيّ ذو أبعادٍ إنسانية، وهي نصٌّ أدبيٌّ طويل، يحكي قصةً حدثت أو محتملة الحدوث، وإن اتّخاذها لثورة الحسين عليه السلام موضوعًا، يتناسب

تمامًا مع غناها الفكريّ. أما عناصر الرواية فعديدة، ونذكر منها: الفكرة، وهي أساس الرواية، والحدث، وهو تجسيد الفكرة بمجموعة تحركاتٍ داخليةٍ وخارجية يؤدّيها أشخاص الرواية، والسرد، وهو نقل جزئيات الواقع بواسطة لغةٍ فنيةٍ تعبّر عنها، والبناء، وهو هيكلية الرواية، الذي يبدأ بالمقدمة، متدرّجاً بأسلوبٍ انسيابيٍّ غير انكساريّ نحو العقدة أو الأزمة، ثم الحل أو الوضع النهائي، وهو النتيجة التي يسعى إليها الروائي عبر روايته، فهو يؤدي من خلالها للقارئ رسالةً محددة. أما الزمان والمكان الروائيان، فهما عنصران لا يقلان أهمية عن غيرهما، إذ أنهما يضعان الرواية في موقعها على الخط البيانيّ للشخصيات، التي تتنوّع بين رئيسةٍ وثانوية وكرويةٍ وثابتة، ويكون لكلٍّ منها إيحاؤه ووظيفته، على طول مسار الرواية.

والرواية بمقاييسها هذه، تنقل إلى القارئ صورة أحداثٍ يريد لها الكاتب أن يعيشها ويتأثر بها ويتنفّسها، ولذا فإنها تحمل الطابع الإنساني المجتمعي، ربما أكثر من أي فنٍّ آخر، فهي محاكاة لحياة البشر، والمحرّك الخفيّ لهذه المحاكاة هو الكاتب الذي يحبك خيوط الرواية ويقرّر مصائر شخصياتها ويحدّد نهاياتهم، وهنا يكمن البعد الأساس لإنسانية هذا الفن، فالرواية هي الإنسان وقدره، أو هي ما يراه الروائي في هذا الإنسان وما يريده منه وله.

أما الرواية الحسينية فهي روايةٌ بالدرجة الأولى كما أسلفنا، ولا بدّ لكاتبها من ملاحظة هذه الناحية في إطارها الفنيّ، وهي حسينية بالدرجة الثانية، فعلى الكاتب أن يكون مدركًا لهذه الخصوصية عاملًا على استثمارها بالشكل الأفضل.

بكلمة مختصرة، فإن مصطلح الرواية الحسينية ينطبق على كلّ روايةٍ كان محورها الحسين عليه السلام وثورته ونتائجها وأبعادها، سواءً كان ذلك في عصره أم في أي عصرٍ

آخر، ويمكن أن نتجاوز فنلحق بالرواية الحسينية كلّ روايةٍ تمحورت حول النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام، وكلّ من تفاعلت حياته معهم أو استمدّ وجوده من وجودهم الزاخر، وذلك انطلاقًا من الحديث الشريف: «حسينٌ مني وأنا من حسين» (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧١)، متّصلًا بالحديث الشريف الآخر: «أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلّنا محمد» (المجلسي، ٢٠٠٨، صفحة ١٦)... وعليه، فمحمد والحسين والأئمة جميعًا عليهم الصلاة والسلام نورٌ واحدٌ تتعدّد وجوهه وأسماؤه، والحديث عن أحدهم هو حديثٌ عن الحسين.

انطلاقًا من حسينية الرواية، فإن الموضوع الروائي الذي تتمحور حوله هو الثورة الحسينية بكلّ تفاصيلها وأبعادها الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، وكذا سائر العناصر التي تشكّل مقوّمات الرواية، ويمكن تلخيصها بالآتي:

١ .المكان: الرواية الحسينية مكانها هو كربلاء، أو أحد الأمكنة التاريخية التي احتضنت تلك الأحداث المؤسفة والمشرّفة في آنٍ واحد، وكانت «مدارس آيات» عاشت بين جنباتها تلك الشخصيات المقدسة، وقدّمت للبشرية نتاجها الفكري والإنساني والعقائدي الذي تستهدفه الرواية الحسينية، وللمكان إيحاءٌ يستثمره الروائي، فيحمل القارئ إليه ويمكّنه من تخيّل أبعاده، الوثيقة الصلة بأحداثه.

٢ .الزمان: زمان الرواية الحسينية هو أحد اثنين، إما ماضٍ عاش فيه الحسين أو أحد أصحابه، أو أحد أهل البيت كما لفتنا سابقًا، وإما حاضرٌ يعيش فيه السائرون على نهجه محيين لذكره بالكلمة والعمل، ولما كان المكان والزمان الروائيان لا ينفصلان، فهما وحدةٌ زمكانيةٌ متّصلةٌ متفاعلة، فإن الرواية الحسينية تتّخذهما مسرحًا لأحداثها، فهما تارةً صحراء كربلاء أو مجلس ابن زيادٍ أو خربة الشام أو قصر يزيد، وطورًا طريق «يا حسين» ومقام الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل عليهما السلام، مع ما يكتنف كلًّا من هذه الأماكن

وأزمنتها من زخمٍ بشريٍّ وتفاعلٍ حضاريّ.

٣.الحدث: هو سير الأحداث التي تجري على مسرح القصة، وتتسلسل وتتصاعد وتتأزّم نحو الحدث المفاجئ، أي العقدة، ثم تتدرّج نزولًا نحو الحدث النهائيّ، أي الحلّ، وقد تكون مرتبطةً بمعركة كربلاء، أو بسبي زينب، أو بأي أحداثٍ أخرى يرى الكاتب أن يسوقها في روايته ليبنيها ويقدّمها للقارئ بحلّتها المتوخّاة.

٤.الراوي: وهو لسان حال الحكاية، ومن يحرّك الأحداث بإصبعه الخفية، وقد يكون أحد شخصيات الحكاية، فيكون داخل الحكي، أو راويًا من خارجها، أي خارج الحكي، وقد يكون الكاتب نفسه، وقد يكون الراوي عليمًا، أو غير عليم... واختيار الراوي يقع على عاتق الكاتب، بحسب ما يراه أصلح لموضوع روايته وأدائها بالشكل الأمثل... وفي الرواية الحسينية تتنوّع أشكال الرواة، فقد يكون أحد أصحاب الحسين مثلًا، أو إحدى النساء، أو حتى شخصًا من الأعداء... واحتمالات الراوي غير محدودة، وله أهميةٌ قصوى في الرواية الحسينية، وستتمّ مناقشة ذلك في حينه.

٥.الشخصيّات: هم أشخاص الحكاية، وفي الرواية هناك شخصيات رئيسة تبرز على مسرح القصة وتأخذ بزمام الحدث، وهناك شخصيات ثانوية مساعدة لها تأثيرٌ في مسار القصة ولكنها ليست المحور الأساس فيها... وفي الرواية الحسينية تكون الشخصية الرئيسة غالبًا أحد أهل البيت عليهم السلام، أو ربما أحد أصحابهم، حيث إنهم محور الرواية ونقطة ارتكازها.

٦.تقنية السرد والوصف والحوار: هي تقنيات أداء المعنى عبر الأسلوب، وفي الرواية يغلب السرد على الوصف والحوار، ولكن وجود التقنيات جميعًا يخلق جوًّا من التنوّع في الأداء القصصي يجذب القارئ ويذهب عنه الملل... ومن الطبيعي أن يكون لهذه التقنيات دورها في الرواية الحسينية، وأن يكون التزام الكاتب الحدث التاريخي ووصفه وسرده وحواره غالبًا.

ثانيًا: شروط كتابة الرواية الحسينية:

لمّا كانت الرواية الحسينية روايةً تاريخيّةً بالدرجة الأولى، وإسلاميّةً بالدرجة الثانية، فقد كان لا بد لمن يريد أن يدخل رحابها بقلمه المبدع، أن يلتزم جملة شروطٍ أهمّها:

١. سعة الاطلاع ودقّة اختيار المصادر:

إن الروائيّ الحسينيّ ينبغي أن يكون على اطلاعٍ كافٍ على كلّ الظروف التاريخية التي تتمحور حولها روايته، وأن يتبحّر ويبحث في مجالها، وأن يرتكز على الكتب المعتبرة والأسانيد الصحيحة، لكي لا يأتي موضوعه ضعيفًا مهلهلًا غير مستندٍ إلى قواعد متينة، وهو حين يكون متمكّنًا من الفكرة سيكتبها بثقة وإتقانٍ كبيرين، كما لو أنه هو مبتكرها، وهذا هو بيت القصيد، فالرواية التاريخية تحكي عن عصرٍ لم يعش فيه الكاتب، ولم يختبر تفاصيل حياته، ولذا عليه أن يعيشه بقلبه وفكره وخياله، حتى يتمكّن من الإبداع والاسترسال في كتابة الرواية، كما لو أنه هو مبتكرها ومطلقها وصاحب عقدتها وحلّها جميع عناصرها... إن عليه أن يجعل نفسه ملكًا لتلك الظروف حتى يستطيع أن يتملّكها بقلمه، ويرسم أحداثها بصوته، ويبدعها روايةً فنيّةً بالمعنى الصحيح، لا يخالجها ما خالج الروايات التاريخية السابقة من عيوب، كروايات جرجي زيدان، ومن سبقه من كتاب الرواية التاريخية العربية، أو كسليم البستاني بروايته «زنوبيا» وجميل نخلة بروايته «حضارة الإسلام في دار السلام»، ورفاعة الطهطاوي في روايته «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز»، والتي كانت بمعظمها رواياتٍ تاريخية تعليمية، منها ما صاغت التاريخ في قالب القصة دونما جهدٍ إبداعيّ، ومنها ما استندت إلى تاريخ غير موثوق، في حين مزج الروائي

أحيانًا أحداث التاريخ بأحداثٍ خيالية أراد بها اصطناع التشويق، ولم تكن تلك الأحداث التاريخية إلا قالبًا لتلك الروايات، سكبها فيه ليصنع منها شكلًا مبتكرًا مختلفًا، كما فعل جرجي زيدان في رواياته: «فتاة غسان» و«غادة كربلاء»، و«شجرة الدرّ» وغيرها، ولم يكن الهدف يومًا إبراز خفايا التاريخ، أو تصحيح أخطائه، أو التماهي مع قيمه الساطعة، أو أخذ العبرة من حكمه البالغة، بل كان أدبًا خياليًّا بمكانٍ وزمانٍ وظروفٍ تاريخية حقيقية، فالرواية ارتكزت هناك على شخصيات غير حقيقية، ثم أتى الروائي بالأحداث التاريخية ليجعلها إطارًا يغذي به الأحداث ليس إلا، أو أنه سرد التاريخ بقالبٍ أدبيّ، ثم أتى بالقصة الخيالية ليضع لمسةً فنّيّةً تشويقيّةً تحفّز القارئ على متابعته. أما الرواية الحسينية، فهي حقيقية الأحداث والأشخاص والسرد، والزمان والمكان والحبكة، مما يستدعي معرفة الروائي بالأحداث التاريخية واستقائه مادة روايته من مصادرها المعتبرة، ثم جعلها الأرض الخصبة التي يستنبت فيها روايته بكلّ أبعادها...

٢.دقة النقل وعدم التجاوز على المعصوم:

ليس الروائي الحسينيّ كسواه، فهو ليس حرّ التصرّف في حركة أحداث الرواية، بل هو منظّمٌ ومشاهدٌ وساردٌ يعرف كيف يسبك الأحداث كأحجيةٍ أدبية، فيرسمها بإطارٍ جديد، ويبرزها بطريقةٍ مختلفة، ولكنه لا يخترع ولا يغيّر ولا يبدّل، وإن اضطرّ إلى زيادة شخصيّةٍ ما أو حدثٍ معيّن، ليوضح من خلاله فكرةً ما، أو ليعطي لمسةً فنيةً لا بدّ منها، فإن هذه الشخصية تكون ثانوية وغير ذات أهمية، وليس لها تماسٌّ مباشرٌ الإمام المعصوم، لكي لا يقع الكاتب في إرباكٍ وإشكالٍ شرعيّ، فيقول على لسان المعصوم ما لم يقله، ويكون محوّرًا للحديث الشريف من حيث لا يدري... وهي ضابطةٌ لا بدّ منها لمن أراد أن يكتب القصة والرواية الحسينية، فالغاية تسوغ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

الوسيلة، وعلى الروائي الحسينيّ أن يكون ملتزمًا الضوابط الشرعية لنقل الحديث، وليس كحال أي روائيّ آخر...

٣.التمكّن من ضوابط الرواية الفنّية، والإلمام بكافة عناصرها:

إن على الروائي الحسينيّ أن يدرك تمامًا، قبل أن يقوم بسبك روايته، أنه لا يكتب تاريخًا، ولا يوثّق ولا ينقل أخبارًا ومرويّات، بل هو يكتب أدبًا جميلًا ذا نكهةٍ إبداعيةٍ استثنائية، تمزج الماضي بالحاضر، والمفاهيم الروحية الراقية بالمشاعر الإنسانية النبيلة، وتستخرج درر التاريخ الحسينيّ لتجعل منها قلائد لأجيال المستقبل، فمهمة الروائي إذًا هي حسن الصوغ والسبك والحبك، حتى تخرج روايته استثنائيةً كموضوعها، تستمدّ خلودها من خلوده، وعالميتها من عالميته، وأن تكون روايةً بمعنى الكلمة، كما لو أن كاتبها نسجها من خياله، ولكنه بدلًا من أن يحلّق في أجواء الخيال، طاف في حنايا التاريخ، واستعاض بأحداثه التي حبكها القدر عن أحداثٍ مخترعةٍ تتفتّق عنها مخيّلة الروائيّ عادةً، ليحبك روايته ويعبّر بها عن مكنون مهجته.

إن بعض الروائيين العرب قد رسموا أول خطوط هذه الرواية المباركة، فجاءت رواياتهم تحمل نكهة العشق الحسينيّ العبِقة الساحرة، ولئن لم تنطبق عليها كلّ الشروط السابقة للرواية الحسينية، إلا أن لها شرف التأسيس لهذا النوع الأدبيّ، ثم كان للروائيين الحسينيين اللاحقين، شرف المتابعة ووضع الخطوط العريضة لهذا الفنّ الحسينيّ الراقي الذي نسعى لنستمدّ به من خلود الثورة الحسينية صفات الخلود، ولعلّ أبرز الروائيين القاصّين الحسينيين من كتاب القرن الماضي هي الشهيدة العلوية السيدة آمنة الصدر بنت الهدى، التي كتبت كتابها، «نساء مع النبي»، بصيغةٍ أدبيةٍ لطيفةٍ مشوّقة، ولكنها لا تحمل معالم الرواية، فكان أقرب إلى التاريخ المكتوب بلغةٍ

أدبية تعليمية منه إلى الرواية، أما السيد عبد الودود الأمين، فقد كانت قصصه الجميلة قريبة إلى نفوس الناشئة والأطفال، بلغتها السهلة المحبّبة، ولم تدخل في معمعة الرواية إلا قليلا، وقد نسج على منواله عددٌ من الكتاب والقاصّين، وأما الكاتب الروائيّ الأستاذ عباس حسن علي الموسوي المعروف بكمال السيد، فقد كانت رواياته «امرأةٌ اسمها زينب» و»ألم ذلك الحسين» و»سلاحه البكاء» وغيرها من رواياتٍ تحكي قصص بعض الأئمة عليهم السلام، هي من بذور الرواية الحسينية الحقيقية، فهي قد أسهمت في تأسيس هذا النوع الأدبي المبارك بعفويّةٍ وصدق، واستطاعت بلغتها السلسة الجميلة وتصويرها للواقع المرّ، الذي عاشه الأئمة عليهم السلام في تلك الحقبة المظلمة الظالمة من التاريخ، أن تقدّم للعالم تلك الشخصيات الحسينية الملكوتية في قالبٍ إنسانيٍّ لطيفٍ تسهل رؤيته لكلّ قلبٍ مبصرٍ يسعى لضيائه الباهر.

إن من أهمّ شروط كتابة الرواية الحسينية إذًا، أن لا يخالف الروائي السيرة الشريفة، وأن تكون قصته صحيحة الخبر، ولا يتمّ له ذلك إلا عبر الاطلاع الكافي على موضوع الرواية، بل على كل ما يلابسها من زمنٍ وأحداثٍ محيطة، حتى ولو لم يكن يزمع التطرّق إليها كلّها، وإن عليه أن يحوز من المعلومات ما يفوق حاجته، لكي يتمكّن من التحكّم بروايته وسبكها وإتقانها، و عليه أن يحسن هذا السبك والإخراج الفنيّ لروايته، ولكنه في سياق هذا العمل يواجه عقباتٍ عديدة لا يواجهها الروائي العادي...

ثالثًا: مشاكل وحلول عند التطبيق:

إن الغوص بعمقٍ فعليٍّ في عالم الرواية، لتكوين اتّجاهٍ فكريٍّ وروائيٍّ جديد، يحمل اسم «الرواية الحسينية»، بكلّ ما للرواية من شروطٍ ومظاهر، واجه ويواجه

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني، السنة الثانية، العدد الأول

عددا من العقبات لا بدّ من استعراضها وبيان كيفية تذليلها للوصول إلى هذا الهدف الأرقى، ألا وهو كتابة الرواية الحسينية بمقاييس عالميةٍ خالدة.

ذلك أن التزام الحدث التاريخي، وهو جوهر هذه الرواية، هو في نفس الوقت محور العقبة الكأداء التي يواجهها الروائي الحسيني، ولعله من جملة الأسباب التي أخّرت إلى حدٍّ ما ظهور هذا الفنّ وازدهاره حتى هذا العصر، وذلك لغياب الحلول للمشاكل التي اعترضت سبيل تطبيق الكثير من عناصر الرواية، والتي يمكن عرضها كالآتي، مع الحلول المقترحة، والتي توصّلتُ إليها خبرتي في حقل كتابة الرواية الحسينية، مع استفادتي من خبرات الروائيين والقاصّين الآخرين في هذا المجال:

الفرق الكبير بين لغة الرواية العصرية ولغة المرويّات التاريخية:

إنه مما لا ريب فيه أن المرويّات التاريخيّة قد نُقلت بلغةٍ تختلف كثيرًا عن لغتنا العصرية، فهي قد تحمل تعابير ومصطلحاتٍ عفا عليها الزمن ولم تعد تستعمل، كما أن لغة الرواية الحديثة تسيطر عليها روح الحداثة وروحيّتها، فكيف يمكن للروائيّ أن يوائم بين لغتين لزمنين مختلفين، تجمعهما العربية ولكن تفرّقهما القرون المتوالية، وكيف يستطيع أن ينقل القارئ إلى زمنٍ ماضٍ ذي تعابير مختلفة، وأن يكتب بروح العصر ما مرّت عليه عصور، وأن يكون أمينًا في هذه الكتابة على ما أُسند إليه من مسؤولية، ألا وهي تقديم القصة الصحيحة بلا تغيير أو تبديل، والحديث الشريف كما هو دون تحريف، ولكن بطريقةٍ تجتذب قارئ هذا الزمن؟!

إن الطريقة المثلى لتذليل هذه العقبة، هي مزج القديم بالجديد، بطريقةٍ سلسةٍ

لبقة تعطي الكلمة حقّها، وترسم صورة الماضي بعيون الحاضر، فإذا هو الماضي نفسه ولكن كما يراه أبناء هذا الزمن، وتفصيل ذلك أن يكون سرد الرواية ووصفها بلسانٍ عصريّ، أما حوارها فلسانه ابن زمنه، فإذا بالرواية تقول كلّ شيء، ماضيًا وحاضرًا وربما مستقبلا، ويحتاج هذا النوع من السرد الروائيّ إلى تملّكٍ لناصية اللغة، وقدرةٍ فائقةٍ على التعبير، مما يمكّن الكاتب من الانتقال بين الأزمنة بلسانه في يسر... مع الالتفات إلى ضرورة المحافظة على أمانة نقل الحوار والصورة فيما يتعلّق بالمعصوم، لحرمة تقويله ما لم يقله، فيكون قد كذب على لسانه دون أن يدري... ولعل من الحلول المناسبة لهذه المعضلة، أن يلجأ الكاتب إلى توضيح هذه الناحية في سرده، فيذكر أنه بلسان الحال، أو يستخدم الكلمات التي توحي بأن ما يقال في حكم المفهوم لا المنقول، وهكذا...

قلة المعلومات التاريخية عن الموضوع المطروح (أحيانًا):

يواجه الروائيّ الحسينيّ عقبةً أساس في طريق عملية التحضير للرواية الحسينيّة، إذ يعاني أحيانًا من شحّ المصادر في الموضوع المطروح، ومع أنّه من غير المألوف أن يعطي الباحث شواهد من نتاجه الشخصيّ، إلا أن تجربتي الروائية بذاتها شاهدةٌ على كثيرٍ من العقبات التي يواجهها الروائيّ الحسينيّ، ومنها هذه العقبة العسيرة، فلا بأس بأن أقدّمها كمثالاً توضيحياً، إذ واجهتني في عملية تحضير اثنتين من رواياتي الحسينيّة، «يوميات طفلةٍ من كربلاء»، وسألتك عن الحسين، عقبة شحّ المصادر التاريخية، إذ تتمحور الأولى في شخصية السيدة الطفلة رقية بنت الإمام الحسين عليهما السلام، أما الثانية فمحورها حياة أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، رضوان الله تعالى عليها، وكلا الشخصيّتين قد أهملها التاريخ إهمالًا ملحوظًا، ولاسيما الشخصية الثانية،

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني، السنة الثانية، العدد الأول

التي عايشت أربعةً من أئمة أهل البيت، وكانت زوجةً ممتازة لأمير المؤمنين ﷺ، وأمًّا لأشباله العباس وإخوته، ومع هذا يقتصر ذكر التاريخ لها على خبرين أو ثلاثةٍ يجدها الباحث بصعوبةٍ في بطون الكتب، ولذا كانت الكتابة عنها أمرًا عسيرًا حقًّا، ولكنّ الحلّ المناسب لصياغة روايةٍ تاريخيةٍ حسينيةٍ تتمحور حولها، كان عبر استقاء المعلومات التاريخية عن عصرها وحياة الناس فيه، والأحداث السياسية والاجتماعية البارزة التي عايشتها، وكانت رواية «سألتك عن الحسين» موافقةً لمقتضى الحال فيما يتعلّق بأمّ البنين، وتحكي إلى جانب حكايتها حكاية أولادها والأئمة الأطهار الذين عايشتهم عن قرب، وكانت جزءًا من أسرتهم المقدّسة...

إن ما لا يُدرك كلّه يُدرك بعضه، وفي بعض كفايةٌ عن كله وإخبارٌ به، وهذه مهمة الكاتب الباحث المتقصّي للأخبار، والذي يروي حكايته متوسّلًا كلّ خيطٍ يلمّ به نسيجها، ويحبك من خلاله أحداثها، حتى تأتي منسجمةً متلاحمة، لا تفتقد للدقة كما لا يُضعف كيانها نقص الأخبار، فبين السطور كلامٌ يقرؤه الروائيّ اللبيب، وينقله بلسان راويه إلى قرّائه...

افتقاد عنصر التشويق:

إن الرواية التاريخية عمومًا هي رواية ما جرى في الماضي، وهي أحداثٌ يعرفها من اطلع عليها عن كتب، ولذا لجأ روائيو القرنين الماضيين إلى زجّ شخصيات خياليةٍ في خضمّ رواياتهم التاريخية، وأن يصطنعوا حبكاتٍ روائيةٍ من صنع الخيال، تُشَوِّق القارئ لمتابعة المطالعة حتى النهاية، بأحداثٍ مصطنعة لا يعرف حبكتها ولا عقدتها وحلّها، ولكن هذه الطريقة ليست صالحةً في حالة الرواية الحسينية، إذ أن هذه الرواية كما أسلفنا في المبحث السابق، تنقل التاريخ الحسيني والعبرة والحكمة، ولا تخترعها،

وإن كانت هناك الأحداث أو شخصيات مخترعة، فهي ليست ذات أهمية وليست على تماسٍّ مباشرٍ المعصوم، ومن ثم فهي ليست محور الرواية ولا دعامتها الفنيّة، فإن الرواية الحسينية وجدت نفسها واقعةً في بؤرة التاريخ، وافتقدت أهمّ عناصر الرواية الفنّيّة، التي يقوم عليها نجاحها لدى المرويّ له، ألا وهو التشويق، فروايةٌ بلا تشويق لن تحمل القارئ على المتابعة حتى النهاية ،الحماس نفسه الذي بدأها به، أو بأكثر منه، كما هو مفروض... وطالما أن ابتداع أحداثٍ جديدةٍ رئيسةٍ لا يعرفها القارئ يخرج بنا عن الهدف الأساس، فالحلّ إذًا ليس هنا، ولا بدّ من البحث عنه في مجالٍ آخر...

إن الحلّ لهذه المشكلة هو بإحدى طريقتين، أو باعتمادهما معًا:

١ .تغيير زاوية الرؤية الروائية (حسن اختيار الراوي):

إن القارئ قد تعرّف أحداث كربلاء مثلًا، عن طريق السرد المباشر للقصة كما حصلت، بلسان راوٍ عليم، فإذا أراد الروائيّ أن يروي قصةً من قصص كربلاء، وأن يخلق جوًّا من التشويق لقصةٍ تناقلتها الألسن والأسماع منذ قرون، فإن عليه أن ينقلها لقرائه بلسان راوٍ مختلف، كأن يكون راويه طفلًا من أطفال الحسين، أو بطلًا من أصحابه، أو امرأةً من نسائه، أو حتى رجلًا من أعدائه... بل إن الراوي يمكن أن يكون أكثر جدةً وغرابةً من كلّ هذا، إنه يمكن أن يكون رمال الطفّ، أو ماء الفرات، أو سهم حرملة!

إن رؤية القارئ للواقعة بعينٍ جديدة، ت حمله على التطلّع لمعرفة ما تحمله، فيتأثّر بالأحداث تأثّرًا مختلفًا، ويحمل توقّعاتٍ جديدة، مما يبعث عنصر التشويق الروائيّ بطريقةٍ مختلفة، ذات وقعٍ لا يقلّ شدّةً عن وقع التشويق الذي يبعثه الجهل بالأحداث، إنه التشوّق لقراءة الأحداث بنظرةٍ عميقةٍ مختلفة...

٢.الكشف عن شخصيّاتٍ مغمورة وأحداثٍ مجهولة، ضمن الحدث الرئيس:

إن المثال السابق على واقعة كربلاء يصلح مثالًا هنا أيضا، فالروائي الذي يريد أن يسلّط الضوء على هذه الواقعة العظيمة، وقد واجهه عنصر نقص التشويق الذي تحدّثنا عنه، يمكن أن يتغلّب عليه بمحاولة استكشاف الشخصيات العاشورائية التي لم يعطها التاريخ حقها، وما أكثرها، فيرسم من خلالها صورة الحدث، ويقدّم الرواية الحسينية غنيّةً بعناصرها، شاملةً بأحداثها، صادقةً في مشاعرها ومعلوماتها، جديدةً في قديمها الذي قلّ عارفوه، فتكون العِبر أشدّ وقعًا وتأثيرًا، والقصة أكثر صدقًا وأروع تعبيرا، ولئن كلّفه ذلك زيادةً في البحث والتحقيق، فلا بأس، إذ إن جزءًا من مهمته الإنسانية يكمن في كشف اللثام عما اختفى خلف حجب التاريخ من أخبار، أريد لها أن تبقى في الظلّ لكي لا تغدو شعارًا للأحرار، فالتاريخ مكتوبٌ معظمه بأقلام عبّاد السلاطين، الذين عُرفوا عبر القرون بعدائهم للحسين وكلّ ما يمتّ له بصلة، ولذا يكسوه التنقيب في الزوايا والخفايا يمسح الغبار المتراكم، ويخرج مارد الحقيقة من قمقمه مخترقًا كلّ الأسوار.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com شعبان - ١٤٤٥هـ آذار - ٢٠٢٤م

خلاصة المبحث الأول:

انطلاقًا من كلّ ما سبق، وفي ضوء ما بيّنّاه في هذا المبحث، وما عمل ولا يزال يعمل عليه روّاد هذا الفن من إبداعٍ متجدّدٍ في مجال الرواية الحسينية، فإن هذا العمل الإنسانيّ المتألّق، إن اتُّبعت فيه الشروط المذكورة، والحلول المقترحة للمشاكل المطروحة، يمثّل وجهًا عصريًّا ورؤيةً إبداعيّة حديثة، لذلك الماضي المشرّف الذي ما فتئ يحرّك مشاعر الإنسانية عبر القرون، ألا وهو الثورة الحسينية الخالدة، وما رافقها وسبقها ولحقها من أحداث، كان محورها أهل بيت العصمة عليهم السلام، ومن كان منهم بسبيل.

إن الماضي مزرعة الحاضر، وقد استنبتت الثورة الحسينية الخير في نفوس البشر منذ قرون، ثم ها هي تحصد نتاج هذا الخير في كلّ مكان، ولعل أهم تلك الثمار الناضجة هو التعلّق غير المشروط بشخص هذا الإنسان الاستثنائي الذي جعله الله مثالًا للعطاء والتضحية في سبيل الحق، وكلّ ما أنتجه هذا التعلّق من مظاهر وظواهر إيجابية بنّاءة، لعل أهمها مسيرة الزيارة الأربعينية، التي بدأت في أربعينه منذ ألفاً وأربعمئة عام ونيف، ولا تزال مستمرةً حتى اليوم، بل هي تزداد ازدهارا مع مرور السنين، تمامًا كما هو ذكر الحسين.

وبما أن الرواية الحسينية تتمحور حول ثورة أبي الأحرار، فهي أيضًا تتمحور حول هذا التجمّع الإنسانيّ العالميّ الضخم الذي يخاطب ضمير الإنسانية بلسان الحسين، ولذا فقد كان لا بدّ من رصد تأثّر هذه الرواية بهذه المسيرة الخالدة، وتأثيرها فيها، وذلك ما ستتم معالجته في المبحث التالي.

المبحث الثاني
دور المسيرة الأربعينية في تطوّر الرواية الحسينية

إن زيارة الأربعين هي من الزيارات التي تنص عليها أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «علامات المؤمن خمس، صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» (الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ١٣٨٦ هـ. ش.، صفحة ٥٢) و (الطوسي، مصباح المتهجد، ١٩٩١، صفحة ٧٨٨) و (المشهدي، ١٤١٩هـ. ق.، صفحة ٣٥٢) وإنه مما لا شكّ فيه أن زيارة الإمام الحسين مستحبّةٌ في كلّ حال، وزيارته يوم أربعينه خاصة منصوصٌ عليها في رواية صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام، وفي رواية عطا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه (الطوسي، مصباح المتهجد، ١٩٩١، صفحة ٥٥١).

أما المسيرة الأربعينية فقد بدأت منذ أربعة عشر قرنًا، إذ ورد الاستحباب في زيارة الحسين عليه السلام مشيًا على الأقدام، عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيًا كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة» (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٢) (قولويه، ١٣٥٦هـ، صفحة ٢٥٥)، وعليه فقد جرت العادة أن ييمّم «المشّاية»، أي الزوار المشاة، وجوههم صوب كربلاء لزيارة الحسين عليه السلام، ويكون وصولهم في العشرين من صفر، يوم الأربعين، فاصطُلح على تسمية هذه المسيرة، التي تحوّلت مع مرور الزمن إلى مسيرةٍ حاشدة، بالمسيرة الأربعينية.

ويعرّف علماء الاجتماع هذه المسيرة بالظاهرة الاجتماعية الدينية العالمية، ولاسيما

بعدما ازدهرت وتزايد عدد المشتركين فيها ليبلغ الملايين، إثر سقوط النظام البعثي الغاشم في سنة ٢٠٠٣م، والذي كان يضطهد الشيعة ويمنعهم عن أداء شعائرهم الحسينية، حتى بلغ عدد المشاركين في هذه المسيرة سنة ٢٠٢٢ مايقارب ٢١ مليون و١٩٨ ألف و٦٤٠ زائرًا (الفرات، ٢٠٢٢).

إن تخليد ذكرى الأئمة عليهم السلام عامة عن طريق التواصل الدائم مع شخوصهم النورانية وأرواحهم الطاهرة ومراقدهم المقدّسة هو من سمات مذهب أهل البيت عليهم السلام، فالزيارة هي عنصرٌ فعّالٌ في إحياء ذكر أهل الحق، عبر التحرّك الفعليّ الملموس الناتج عن عقيدةٍ ثابتةٍ وصافية، وهي مراسم نصّ عليها قبل النبيّ وأهل البيت عليهم السلام، بدءًا بزيارة النبيّ قبر عمّه الحمزة رضوان الله تعالى عليه، وتشجيعه على تلك الزيارة والحزن الإيجابيّ، وليس انتهاءً بزيارات النبي والمعصومين عليهم الصلاة والسلام، لتي وردت في أكثر من مناسبة وبأكثر من مصدر، حتى أنه لم يختلف في ذلك أحدٌ من علماء الإمامية (قولويه، كامل الزيارات، ١٣٥٦هـ) (المجلسي ا.، بحار الأنوار، صفحة ١٤٤) (المفيد، الإرشاد، ١٩٦٢، صفحة ١٣٣) (المفيد، المزار، ١٤٠٩ هـ، صفحة ٥٥) (الطوسي، مصباح المتهجد، ١٩٩١، صفحة ٧٨٨) (الكليني، ٢٠٠٧، صفحة ٥٤٨).

إن الزيارة الأربعينية مع المسيرة المليونية التي تنامت عبر إحيائها الفعّال من قبل عشاق الحسين في كلّ مكان، تحت رعاية الشعب العراقيّ المخلص لفكر أهل البيت والمتفاني في حبّهم، وبجهود القائمين على مسؤوليات الحرم الحسينيّ المقدّس والحرم العباسي المطهّر، هي تعبيرٌ وجدانيٌّ فكريٌّ متكامل عن معنى الارتباط الحقيقيّ بالقيم الإنسانية الرفيعة التي من أجلها استشهد سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه وأهل بيته،

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

فصار من الضروريّ النفاذ إلى عمق هذه المسيرة، وتدارس خصائصها ومقوّماتها وأسباب ازدهارها وعوامل نمائها، حتى يكون التأثّر بها والوعي لهذا التأثّر كلاهما فاعلان في تقديمها للعالم، داخلًا وخارجًا، عربيًّا وإسلاميًّا وعالميًّا، وذلك عبر الدور الفاعل الذي تؤديه والذي يمكن أن يؤدّيه الفكر الحسيني شعرًا ونثرًا، بحثًا وقصيدًا وقصةً ورواية، بما هو تعبيرٌ صادقٌ صريحٌ متفاعلٌ بين الموضوع الأرقى والكاتب والقارئ.

على أن الرواية الحسينية بمقوّماتها المذكورة سابقًا في المبحث الأول هي حقًّا المعبّر الأبرز عن عظمة هذه المسيرة، فهي تتعامل مع عقلها وقلبها، وتقاربها وجدانيًا وفكريًا، وتنقلها بلسانٍ صادقٍ صريح، وقلبٍ متعاطف، وروحٍ واعية، وفكرٍ حسّاس. إن التعبير عن هذه المسيرة بالقصة هو التعبير الأمثل، لأنه يعطيها حقّها الفعليّ في ضمير الإنسان، ويتعامل معها بوصفها كائناً حيّاً زاخراً بالأفكار والعواطف، وينقلها بالدقة التي حدثت فيها وربما أكثر.

لقد وعت الجهات المسؤولة عن رعاية المسيرة، لاسيما المؤسسات الفكرية والثقافية التابعة للعتبتين الحسينية والعباسية، أهمية هذه الناحية من التعبير عن مسيرة الأربعين، فشجّعوا المبدعين من كلّ أنحاء العالم على كتابة القصص والروايات التي تترجم هذه الظاهرة الإنسانية الشاملة، بعدما كانوا قد أولوا الجانب العلمي والفكري والإحصائي للمسيرة اهتمامهم الخاص، عبر تشجيع الأبحاث العلمية المتمحورة حولها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، مؤتمرات الزيارة الأربعينية الدولية التي نظّمها ولا يزال، مركز كربلاء للدراسات التابع للعتبة الحسينية المقدسة على مدى الأعوام السبعة الماضية، والتي آتت ثمارها كمًّا ونوعًا عبر الأبحاث العلمية

الراقية التي تناولت مسيرة الأربعين من كل جانب...

ولكي نتمكّن من تدارس تأثّر وتأثير المسيرة الأربعينية بالرواية الحسينية، فلا بدّ لنا من رصد عوامل هذا التأثّر وذاك التأثير، عبر استعراض عناصر الرواية الحسينية، كما أوردناها سابقًا، ثم تتبّع النقاط والتفاصيل الخاصة بالمسيرة الأربعينية التي تتفاعل مع تلك العناصر، وذلك على الشكل الآتي:

١. المكان والزمان: من الواضح أن كتابة قصةٍ أو روايةٍ متفاعلةٍ مع مسيرة الأربعين، لا بدّ من أن يكون مكانها أحد هذه الأمكنة المؤدية إلى كربلاء، بالمعنى الماديّ أو المعنويّ، فطريق المشّاية معبرٌ للروح، وهو برماله وترابه وأعمدته وإسفلته والمواكب المصفوفة على جانبيه، وبكلّ ما يحتويه من أرضٍ وما تظلّله من سماء، يشكّل مسرح الأحداث الرئيس لهذه القصص التي تنتظر من يدوّن ويكتب، ويعمل فيها قلم الفكر والعاطفة معًا، ليخرج منها بعقيدة حبّ الحسين عليه السلام.

١. أما الزمان فهو حتمًا زمان الزيارة الأربعينية، قبلها وبعدها وفيها، فالعشرون من صفر ليس يومًا بقدر ما هو عصر، وميقات تجديد العهد مع صاحب التضحيات العظام في سبيل الإنسانية، وطالما أن القصص تتمحور حول المسيرة وأحداثها وأشخاصها وكلّ ما تشتمل عليه، فلا بدّ أن يكون لزمان الزيارة النصيب الأوفى من التمسرح والتمثّل والارتكاز الزمني، لأنه الزمان الذي تتوقف عنده الأزمنة وتنتهي إليه الأفئدة والأنظار.

٢. الشخصيات: إن شخصيات أي قصةٍ أو روايةٍ تحكي مسيرة الأربعين يمكن أن تكون إحدى هذه الشخصيات المليونية المعلومة أوالمجهولة، التي تتوجّه صوب هذا الحرم المقدس، وتنتظر بفارغ الصبر ورودها لمعينه الكوثري الأنفَس... وللقاصّ أن يختار أول قصةٍ تقع تحت بصره وسمعه وفؤاده، لأن القصص ستكون فوق قدرته على الإحصاء، وكلّ واحدةٍ منها تجربة حياةٍ تنتهي هنا، أو تبدأ من هنا، أو تتقاطع مع هذا العالم الملكوتيّ الغريب الذي اعتزل الدنيا فجأة والتحق بالآخرة... ولنا أن نتوقّع أن يكون عدد

القصص التي يمكن أن تكتبها أقلام القاصين والروائيين أكثر من المعقول والمحدود، والمستقبل القريب شاهد على ما نقول... واللافت هنا أن الشخصيات الحاضرة في هذا التجمع الإنساني الفريد ليست من مذهبٍ واحد، ولا من دينٍ واحد، ولا حتى من عقيدةٍ واحدة، فهنا يختلط المسلم بالمسيحي والصابئي، والشيعيّ بالسنيّ والعلويّ، والأبيض بالأسود والأصفر والأسمر... إنه تجمّعٌ إنسانيٌّ شامل، لا يقتصر على فئةٍ من فئات البشر، من ثمَّ فهو يمثّل البشر جميعا، ولذا تكون القصة التي تستلّ أشخاصها من هذه المسيرة، ليست فقط قصةً حقيقية، بل هي عين الحقيقة بكلّ أبعادها ووجوهها، وهي مصداق ما يمكن للحقيقة أن تقوله دون أن يكون لها أي حكمٍ مسبق.

٣. الحدث: لا شك في أن الحدث الروائي الذي يستوحيه القاصّ من هذه المسيرة هو غنيّ بغناها ومتنوّعٌ بتنوّع أشخاصها، وهو عالميٌّ لأن شهودها يحتوون العالم، ومن هنا فإن على القاصّ أن يعمل قلمه في اقتناص الفكرة من أي مشهدٍ يلفت نظره أثناء المسير، أو أي حوارٍ يسمعه صدفة، أو أي إنسانٍ يجذب انتباهه... وباعتقادي فإن الحدث الروائي هنا جاهزٌ لا يحتاج إلا لمن يقطفه ويزيل عنه بعض القشور ليقدّمه للجمهور بلا زيادةٍ ولا نقصان، والحدث هنا همٌّ معاصر، أي أن أبرز عقبات الرواية الحسينية التاريخية، ألا وهي مشهورية الحدث التي تخمد عنصر التشويق، ليست موجودةً هنا، فالأحداث المتصارعة على مسرح المسيرة الاستثنائي هي أحداثٌ جديدة غير معروفة إلا لأصحابها، وهي على الغالب تُكتب للمرة الأولى، ولئن جمعتها الزيارة الحسينية تحت جناحها، إلا أنها ليست مقيّدةً بقيدٍ تاريخيّ، بل هي حرةٌ مطلقة الحركة، ولئن كان الهدف دائمًا هو الوصول إلى الحقيقة من خلال الحسين، إلا أن التجارب مختلفة والخبرات محكومة بعقائد الأشخاص وأفكارهم وعواطفهم، وبالتالي فالحدث المفاجئ مجهول والحدث النهائيّ مجهول، وتأزّم الأحداث مرهونٌ بشؤونٍ وشجون، تحمل القارئ إلى أبعاد إنسانية جديدة، تزيده عشقًا بالحسين، وتريه المنظر كلّ مرةٍ بعينٍ جديدة...

٤. لغة القصة: مع أن محور بحثنا هو القصة والرواية العربية تحديدًا، إلا أن عالمية المسيرة

الأربعينية تفترض للقصة التي تتمحور حولها وتتأثّر بها أن تكون بأي لغةٍ يتخاطب بها أي زائرٍ للأربعين، وفي هذا ما فيه من عالميةٍ وانتشارٍ لذكر الحسين، بل إن القصة العربية تحديدًا، والتي تخوض في هذا الميدان، مرشّحةٌ لأن تكون عالمية، لأن موضوعها يمكن أن يكون زائرًا غير عربي، ومن ثم فهي ستدخل حتمًا في اهتمامات بني قومه، وهكذا... أما عن مواكبة اللغة للعصر، فهذا متوقع، فالمسيرة الأربعينية تتجدد في كل عام، ومعها تتجدّد الأقلام، وتنطق الأفكار بما يناسب المقام، فلا يحجبها ولا يحدها كلام... هنا أيضًا يسقط عائقٌ آخر من العوائق التي تواجه الرواية الحسينية التاريخية، فليس للخطاب التاريخي البحت حسابٌ هنا، بل الحكاية هي ما يعيشه الإنسان في ظل الحسين الآن.

٥. لعلّ تأثّر الرواية والقصة الحسينية بالمسيرة الأربعينية هو أكثر من تأثّر، إنه تأقلمٌ وانسجامٌ وانطلاقٌ نحو منحًى روائيٍّ جديد، يشارك الرواية الحسينية في موضوعها وأهدافها وقيمها الإنسانية، ولكنه ينأى عن أي مشكلةٍ تعترض طريقها... إن قصص زوار الأربعين، وحكايات عشقهم لسيد الشهداء، ومعاناتهم في سبيل الوصول إليه، على الرغم من تنوّعها وغناها الإنسانيّ، ليست إلا جانبًا من الموضوعات التي يمكن أن تعالجها القصة والرواية الحسينية حول هذه المسيرة، فإن لها أبعادًا أخرى جديرةً بالدراسة والتحليل، وتلك مهمة الأبحاث العلمية، وهي جديرة بالتدوين والتفاعل الوجدانيّ، وتلك مهمة القصة، ولعل بعض هذه الأبعاد يمكن تلخيصها بالآتي:

- خدمة الزوّار: هي من أكثر مظاهر المسيرة الأربعينية بروزًا، وهي شرفٌ يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويتزاحم عليه أصحاب المواكب المنتشرة على طول الطريق المؤدي إلى كربلاء، والمواكب هي تلك المواقع المنصوبة على جانبي الطريق، تقدّم للزائرين كلّ أنواع الخدمات، بدءًا بالطعام والشراب وتدليك الأقدام المرهقة من جرّاء المشي الطويل، حتى النوم والراحة وو... كلّ ذلك بشكلٍ مجّانيّ! إن هذه النقطة بالذات يجب التركيز عليها؛ مجّانيّة الخدمات، وتنوّعها وغزارتها بشكلٍ

ربما يفوق الحاجة أحيانا، على الرغم من أعداد الزائرين الهائلة التي تكاد تضيق بها الأرض ولكن قلوب العراقيين الكبيرة تتّسع لها ولأضعافها، إذ أن حبّ الحسين يملؤها فيكسر كلّ القيود، ويعطيها طاقةً غير محدودةٍ على العطاء... والكلمة هنا ليست مجازية، فإن لا محدودية الخدمات تترجم عمليًّا من خلال تزايدها المطّرد مع السنوات، ومع تزايد الحشود المتوجّهة إلى مصدر النور في كلّ عام... وقد يتبادر للذهن أن هذه الخدمة تغطيها مؤسسات دولية أو بالحد الأدنى رسمية، ولكن الحقيقة غير ذلك، إنها خدمة الناس للناس، وخدمة العراقيين أنفسهم، كبيرهم وصغيرهم، غنيّهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم، لزوار «أبي علي»، وهي خدمةٌ ألزموا أنفسهم بها ولم يلزمهم إلا عشقهم لسيد الشهداء، وتلك الشمائل العربية الرفيعة التي لا يزال هذا الشعب الأصيل يحافظ عليها، من كرم وجود وإغاثة الملهوف، وغير ذلك... والملاحظ أن خدمة الزوار هذه تنتقل بين العراقيين، وبينهم وبين الشعوب الأخرى التي تؤم كربلاء كل عام، تمامًا كالعدوى، حيث أن فيروس الخدمة يبدو لك وكأنه يجتاح النفوس والعقول، وينتشر كالوباء البلسميّ الشافي الذي يحيي القلوب، فأنّى التفتّ في مسيرة الأربعين تجد بشرًا متلهّفين لخدمة الزوّار، تفيض عيونهم بالدمع رجاء أن تقبل خدمتهم، وتلهج ألسنتهم بالدعاء لك إن تفضّلت بإجابة دعوتهم. وليست الخدمة مقتصرةً على المواكب، بل إن بيوت العراقيين تكون مفتوحةً للزائرين، حتى أنها تضمّ أضعاف أضعاف قدرتها على الاستيعاب، والأولوية دائمًا للزائر، الذي يحتلّ صدر البيت ويترك أصحابُه العتبة لأنفسهم ولأولادهم، وهم في ذلك مستأنسين بقبول الزائر أن يمنحهم شرف خدمته! ... وقد لا تكفي مجلّداتٌ لتحكي قصص الخدمة تلك، وهنا مربط الفرس، حيث أن هذه الخدمة الأسطورية ذاتها هي من أروع الملاحم الإنسانية التي تنتظر من يصوغها في قالب حكائيّ روائيّ قصصيّ بديع، وليس على القاصّ إلا أن يدخل بنفسه في خضمّ هذا البحر المتلاطم من البشر،

ليجد حقول الإبداع ممتدّة أمام ناظريه، فيحصد من سنابلها الذهبية ما يغني قلمه وفكره وفؤاده، وأفكار قارئيه وأفئدتهم أيضا.

- تنظيم الحشود: في ظلّ هذه الحشود التي تتلاحم متّجهة إلى الحسين عليه السلام، وتجتمع من كلّ بقاع الأرض لتسير وتسير نحوه، لا بدّ من عنصر التنظيم وإلا كانت الفوضى سيدة الموقف، ولقد أخذت العتبتان الحسينية والعباسية بمساعدة الجهات الرسمية على عاتقيهما أمور تنظيم الحشود الإشراف على موضوع الخدمة، التي تقدّم بعفويةٍ وكثافةٍ للزائرين، مما يجعل أمر التنظيم ضروريًّا، وهنا يجد القاصّ مادةً غنية، فمع أن قضية التنظيم قضية إدارية إحصائية، إلا أن ما يسيطر على جوّها من إلفةٍ وتعاطفٍ يأسر الألباب حقًّا، ويشحذ القرائح، ويستثير الأقلام، فالجميع متعاونون على إقرار أمر التنظيم لأن وجهتهم واحدة، هي تسهيل أمور الزوار والقيام على راحتهم، والهدف دائمًا هو نيل الأجر والثواب من خدمتهم، فالعقيدة الصافية المؤمنة بمصداقية أهل البيت عليهم السلام تقف وراء هذا الإخلاص والعمل المتفاني، والرغبة المستميتة في الخدمة دون مقابل، وكلها أمورٌ جديرةٌ بالتسجيل والتدوين، واتّخاذها موضوعاتٍ غنية للقصّ والحكي، يمكن أن تنتج أروع القصص والحكايات... لقد بدأ فعلًا عصر الحكاية الأربعينية، وهو يتنامى ويزدهر، ومع عناية الجهات الثقافية بإحياء هذا الأمر سيكون له تنامٍ وازدهارٌ أكبر.

- تهافت الحدود: لعلّ من أهمّ الملاحظات التي تلفت نظر الحاضر في زيارة الأربعين والمشارك في مراسمها هو التساوي والتناظر بين كل مستويات البشر، سواءً الزوّار أو الخدّام أنفسهم، فأما الزوار فهم سواسية؛ هم جميعًا يمشون، زرافاتٍ ووحدانا، منهم من قطع المسافات البعيدة من شمال العراق إلى جنوبه، ومنهم من أتى عبر الحدود الإيرانية العراقية مشيًا أيضًا ليشارك في المسيرة، وقد يكون مضى على مسير هؤلاء أسابيع طويلة، وهم لا يزالون يجدّون المسير بحماسٍ أكبر،

وتتساقط الحدود الاجتماعية والمادية هنا، فالأستاذ الجامعيّ والطبيب والتاجر الثريّ يمشون جنبًا إلى جنبٍ مع العامل والمجاهد والمزارع والبنّاء وو... و«لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى»، هنا يتجسّد هذا الحديث بشكلٍ ملموس، حتى الخدّام أنفسهم هم من مستوياتٍ اجتماعية مختلفة، ولعل كثيرًا منهم قد عمل طوال سنته لينفق على هذه الخدمة، وهو بها مسرور محبور، وهو لا يفكّر في ما سينفق على نفسه لاحقًا، فخدمة الزوار هي الأَولى دائمًا... كل هذه الموضوعات الاجتماعية والظواهر التي ينفق علماء الاجتماع أعمارهم في محاولة فكّ أحاجيها وإيجاد حلولها في المجتمعات المادية، ها هي تتفكّك تلقائيًّا دون حاجةٍ لمؤسسة اجتماعية أو مخططٍ تنموي، وذلك لأن الناس قد تخلّوا هنا عن أنانيتهم وتفردهم، وصار الأنا والآخر شيئًا واحدًا، بل إن الآخر الزائر قد تفوّق على أنا الخادم، لأن هذا الأخير يفضّل الزائر على نفسه واسرته، ولا يساويه بهم حسب... إنه كيوم الحشر، يومٌ من أيام الآخرة يعيشه أهل الدنيا فيتنعّمون بفيض عطائه الروحيّ، وتبقى هذه الخوارق الاجتماعية موضوعاتٍ أخرى غنية بتفاصيلها وعمق تراكيبها تنتظر من يقصّ ويسرد قصص التواضع والفناء في المحبوب حتى الفناء.

خلاصة المبحث الثاني:

إن المسيرة الأربعينية هي فيضٌ من عطاء الحسين عليه السلام، ومن ثم فإنها بجميع مظاهرها ومعطياتها تصبّ في بحر جوده، ولذا يستقي منه الإبداع الأدبيّ الذي يبحث عن معينٍ يستقي منه ويغرف المعاني الراقية والسامية، وبعدما وجد في الحسين بغيته، وأشهر للعالم روايته، قد وجد في هذه المسيرة موردًا آخر يؤدي إليه، ولما كانت فعلاً يواكب الزمان، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، بل يتنامى مع مرور الأعوام، فقد كان من الطبيعيّ أن تكون مجالًا واسعًا وميدانًا لا يجارى، تصول فيه أقلام المبدعين وتجول، وتستخرج من درره ما يحير العقول، فكلا المضمون والأسلوب القصصي يتناغمان مع معطيات هذه المسيرة، ويتفاعلان فيتأثّران بها قلبًا وقالبا، ومن الطبيعيّ أيضًا أن تؤثّر القصة كذلك في مسيرة الأربعين، لا أن تتأثر بها حسب، لأن القصة المكتوبة يقرؤها الملايين، ويعيشون بها هذا الحدث الاستثنائي الفريد، حتى وإن لم يشهدوه، فيتعرّفون أو تتعمّق معرفتهم بالحسين، وتكون ثمار هذا الإبداع القصصي انتشارًا أوسع للفكر الحسيني الخالد، وتفاعلًا وجدانيًّا أكبر مع هذا الحدث الرائد... ولما كان العالم اليوم قد غدا قريةً صغيرةً تجمعها مسارات التواصل الرقمي، فليس أدعى للتعريف والتبليغ برسالة الحق التي استشهد من أجلها سيد الشهداء، من الحديث والقصّ والحكي عن مسيرةٍ تجتمع فيها الناس من أصقاع الأرض ليتوحّد مسارهم في فلكٍ واحد، هو أبرز وأطهر إنسانٍ قدّم أغلى التضحيات في سبيل مبدئه وعقيدته.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

الخاتمة:

تتطاول الأزمنة والدهور ويبقى الحسين في أعماقها فلكًا يدور، وتدور حوله الكائنات لتستمدّ من نهضته وثورته وحياته وموته ألف حياةٍ وحياة... ومهما عاشت الآداب وتطوّرت فإنها لن تعيش قطّ وتتخلّد إلا في الشخصيات العظيمة التي لا يزيدها مرور الزمن إلا شموخًا وخلودا، وكذا هو الحسين عليه السلام بكلّ ما يعنيه من واقعٍ ورمز، وكذا تتمحور حوله كلّ مكرمةٍ منذ كان إلى ما شاء الله...

ولئن زادنا نقّاد الأدب شرقًا وغربًا معرفةً بمعنى الرواية وشروطها وعناصرها، فلقد استطعنا باستلهام مكنون الجوهر الإنسانيّ الحسينيّ أن نزيدهم فخارا، وأن نضفي على هذا الفنّ الراقي ما يزيده رقيًّا ويحلّق به في علياء لم يبلغها من قبل، وكان لنا في حياة أهل البيت عليهم السلام، جدّ الحسين وأبيه وأمه وأخيه، والتسعة المعصومين من بنيه، وكل من ذاب في الحسين وغدا من الحسين وإليه وفيه، كان لنا مسرح حدثٍ وعنصر إبداعٍ وحديث ثناء، لا كمثله شيءٌ في عالم الأحداث والإبداع والثناء، فكلّ القصص والروايات يحوكها الخيال ليحاكيَ الواقع، أما الرواية التي ابتدعناها حسينيةً فهي تحوك الواقع ليحاكيَ الخيال، وكلّ الروايات تختلق البشر وتصنع لهم مصائر وتحارب بهم وفيهم لتخلق النموذج الإنساني الكامل والبطل المثال، أما الرواية الحسينية فهي تستنسخ أكمل النماذج الإنسانية الحقيقية، وتطرحها في قالب القصة لتقرّبها إلى الأفهام والعقول والأفئدة، فيحلّق القارئ معها، لا في آفاق الخيال، بل في رحاب الواقع الذي يكاد لشدة شفافيته وطهره يقارب الخيال...

إن الرواية الحسينية لها معايير خاصة وشروط تمّ شرحها في هذا البحث، وقد بيّنّا كيف يكون التعامل مع فنّ الرواية حين تدخل عالم الحسين عليه السلام بكلّ تفاصيله، بدءًا بحياته وشهادته، وليس انتهاءً بزيارته والتماهي به والتوجّه إليه،

وإن هذه الرواية تتقاطع مع الرواية العالمية، ولكنها تنفرد بخصوصيتها الاستثنائية، وقد واجهت العوائق تمّ تذليلها باستراتيجيات مدروسة، وكان لها في امتداد الثورة الحسينية وما حقّقته على مدى الأيام من إنجازات وإحياءات، روافد جديدة زوّدتها بالمزيد من العطاءات، وإن في المسيرة الأربعينية بكلّ تفاصيلها وتجسيدها للقيم الحسينية، مع ما وصلت إليه من عالميةٍ في عصرنا الحاضر، يكمن تيارٌ آخر يغذي الرواية الحسينية ويعطيها طابعًا يزيدها امتيازاً وبهاء، ولذا كان وسيكون للرواية الحسينية معه إبداعات جديدة تعكس واقع المجتمع الإسلاميّ النموذجيّ للعالم، وتحكي قصة الحسين بكلّ لسانٍ ولكلّ إنسان، وبهذا يكون تأثّر الرواية الحسينية بهذا الجانب الإنسانيّ الحسينيّ باعثًا لولادة نمطٍ جديدٍ من الرواية الحسينية، يدهش الأدب والفنّ والعالم أجمع، إذ يحكي لهم لا عن الحسين حسب، بل عن هؤلاء الحسينيين الذين يعيشون في هذا العصر، يسيرون نحو الحسين ولا يبالون، ويقدّمون للعالم حكاياتهم الإنسانية الفريدة الرائعة، ولنا أن نقدّم هذا النمط الأدبيّ الخاصّ بمصطلحٍ جديدٍ، قد يكون محور بحثٍ جديد، هو «الرواية الأربعينية».

المصادر والمراجع:

١ .ابن قولويه. (١٣٥٦هـ). كامل الزيارات. (الشيخ ميرزا عبد الحسين الأميني التبريزي، المحرر) النجف الأشرف، العراق: المطبعة المرتضوية.

٢ .الشيخ الطوسي. (١٣٨٦ هـ. ش.). تهذيب الأحكام في شرح المقنعة (المجلد ٦). (المحقق علي أمير الغفاري، المحرر) طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية : دار الكتب الإسلامية.

٣ .الشيخ الطوسي. (١٩٩١). مصباح المتهجد (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: مؤسسة فقه الشيعة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية   www.arbnj.com   المجلد الثاني ، السنة الثانية ، العدد الأول

٤.الشيخ الكليني. (٢٠٠٧). أصول الكافي (الإصدار الأول، المجلد ٤). بيروت، لبنان: منشورات الفجر.

٥.الشيخ المفيد. (١٤٠٩ هـ). المزار (الإصدار الأول). قم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي ﵇.

٦.العلامة المجلسي. (٢٠٠٨). بحار الأنوار (المجلد ٩٨). بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي.

٧.الفرات نيوز. (٢٠٢٢.٩ ٢١). العتبة العباسية المقدسة تكشف العدد الكلي لزائري أربعينية الإمام الحسين ﵇. العراق.

٨.المشهدي. (١٤١٩هـ. ق.). المزار الكبير (الإصدار الأول). (المحقق جواد القيّومي الأصفهاني، المحرر) طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية: نشر القيّوم، مؤسسة النشر الإسلامي.

٩.المفيد ا. (١٩٦٢). الإرشاد. النجف الأشرف العراق: المكتبة الحيدرية.

١٠.جواد شبّر. (١٤٠٩هـ). أدب الطفّ أو شعراء الحسين. بيروت، لبنان: دار المرتضى.

١١.سيد قطب. (٢٠٠٣). النقد الأدبي أصوله ومناهجه (الإصدار الثامنة). القاهرة: دار الشروق.

١٢.عبد الدائم السلامي. (٢٠١٧). كنائس النقد (الإصدار الأول). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣.مارسيل ماريني. (مايو،١٩٩٧). مدخل إلى مناهج النقد الأدبي. (٢٢١)، ١٣٥. (رضوان ظاظا، المترجمون) الكويت.

١٤.محسن الموسوي. (١ مارس،١٩٧٣). حول مفهوم البطل في الرواية العربية. الأقلام(٣)، ٢.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
شعبان - ١٤٤٥هـ آذار - ٢٠٢٤م

Al- ARBA'EEN

Semi-Annual Scientific Journal

Concerned with Publishing
The Research and Studies Related to
The Ziyarte Al- Arba'een

Issued by
The General Secretariate
of AL- Hussein Holy Shrine
Karbala Center for Studies and Research

Volume 2, 2 nd Year, Issue 1 -Shaaban 1445- March 2024